فتح بُخارى

القصة والعبرة

تأليف

اللواء الركن محمود شيت خطاب

رحمه الله تعالى

جمع وترتيب : المهندس سرمد حاتم شكر السامرائي

منشور في مجلة العربي الكويتية– العدد270-1 مايو
1981م-ص 120 – 125

1401 هـ - 1981 م

سيوف المسلمين تكون لهم بالوحدة ، وتكون عليهم بالفرقة !

فتح بخارى القصة والعبرة

بقلم اللواء الركن : محمود شيت خطاب

تقع مدينة (بخارى) في اقليم (الصغد) ، وهو صغديانا Sogdiana ، القديمة ، الذي يشمل البلاد الخصبة فيما بين نهري سيحون وجيحون . واقليم الصغد أحد اقاليم بلاد « ماوراء النهر » - كما سماها العرب - ويراد به : ماوراء نهر جيحون بخراسان .

وكان نهر جيحون القديم ، يعد الحد الفاصل بين الاقوام الفارسية والتركية ، اى ايران وتوران ، فما كان في شرق وشمال جيحون من اقاليم يدعى : ماوراء النهر وما كان في جنوبه وغربيه فهو خراسان .

وكان الصغد يحسب احدى جنان الدنيا الاربع وهي : غوطة دمشق ، والصغد ، ونهر الابلة وشعب بوان ، وكان الصغد قرى متصلة خلال الاشجار والبساتين لاتبين القرية حتى تصل اليها لالتفاف الاشجار بها ، والبلاد كثيرة الاشجار غزيرة الانهار متجاوبة الاطيار . وكانت أجل مدن اقليم الصغد : سمر قند وبخارى ، ويمكن القول : ان سمر قند كانت عاصمته السياسية ، وبخارى كانت عاصمته الدينية .

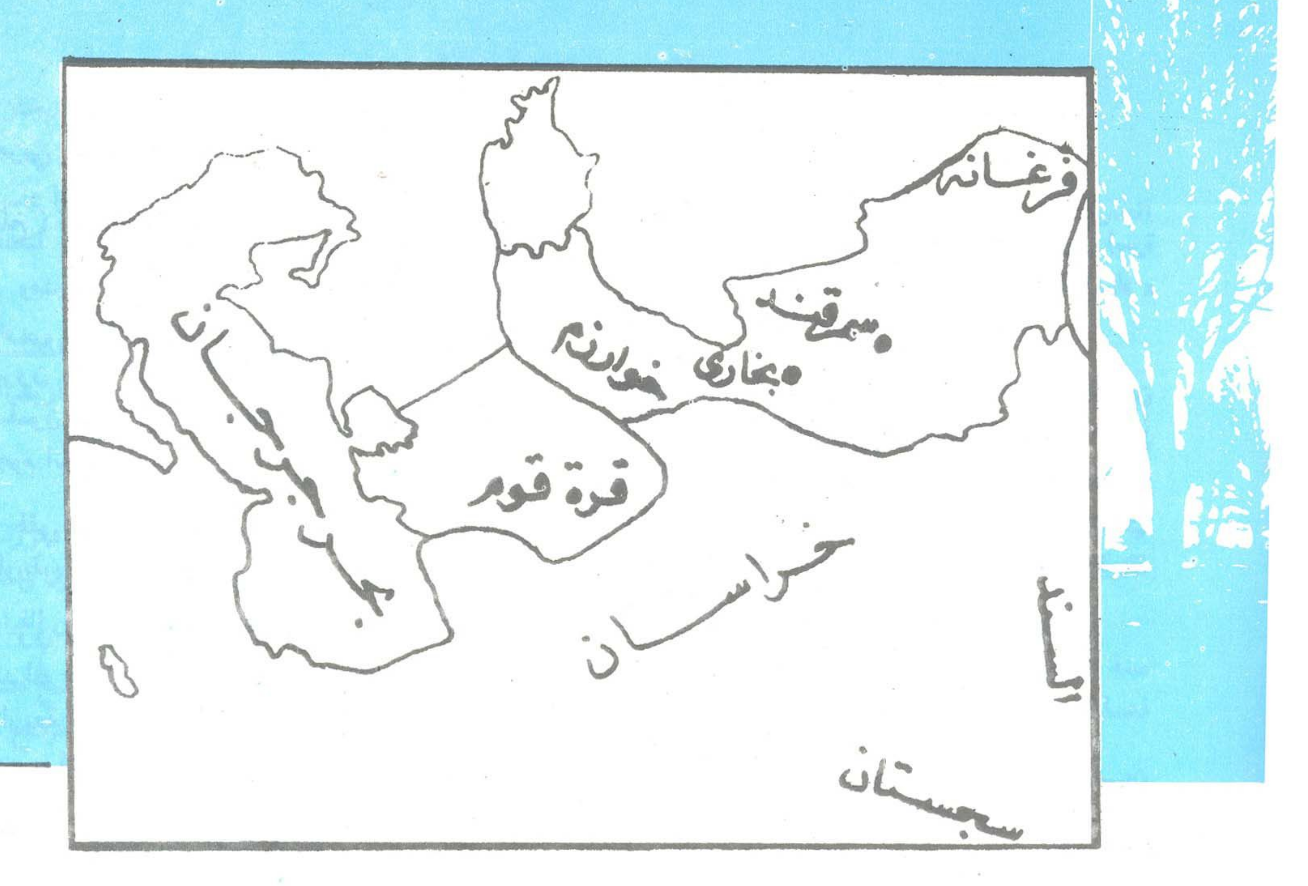
وبخارى مدينة قديمة نزهة كانت كثيرة البساتين غزيرة الفواكه جيدتها ، تصدر فواكهها الى (مرو) فى خراسان والى (خيوه) فى خوارزم والى أماكن بعيدة أخرى .

ولم يكن فى بلاد المسلمين اجمل منظرا من بخارى ، متصلة خضرتها بخضرة السماء فيها وارض ضياعها مستوية ، ولم يكن فيما وراء النهر وخراسان بلدة اهلها احسن قياما بالعمارة على ضياعهم من اهل بخارى ولا اكثر اهتماما بادارتها .

ولم تكن بخارى مدينة فخمة تتميز بخصائصها الطبيعية العظيمة فحسب ، بل كانت ايضا سوقا رئيسية تلتقى فيها تجارة الصين وآسيا الغربية ، فضلا عما كان بها من مصانع كبيرة للحرير والديباج والمنسوجات القطنية واجود أنواع الابسطة والمصنوعات الفضية والذهبية من كل نوع .

وكانت كذلك مركزا مهما للصيرفة ، حتى لتسمع هناك الى اليوم المثل القديم : اشد يقظة من صراف بخارى » .

وكان سكان ما وراء النهر وبخاصة بخارى فى الزمن القديم ، قبيل الفتح الاسلامى وبعده اكثر منه الان بكثير . ففى ايام الفتح كانت عدة قبائل عربية تنزل فى كل مدينة من مدن ما وراء النهر ، وكانت



المساكن مع ذلك تتوفر للسكان الجدد ، حتى كان الرجل يركب لعدة فراسخ صوب الجنوب او الشمال على السواء بين صفوف من المساكن ، والغالب ان الثلاثمئة والستين مسجدا ، التى لايزال اهل بخارى يتحدثون عنها حتى اليوم ، كانت قائمة بالفعل هناك .

وأخذ عدد سكان بخارى يتناقص بالتدريج ، فكان سكانها خمسة او ستة اضعاف ما هو عليه اليوم وما يقال عن بخارى يصدق على ما وراء النهر ، فقد تدفقت قوات ضخمة بدون انقطاع فى الغالب باتجاه غرب اسيا حتى وادى النيل من بلاد ما وراء النهر ، وهى قوات لا يمكن بطبيعة الحال ان تتوافر إلا فى اقليم مكتظ بالسكان .

فتح عبد الله بن زياد التمهيدى

استطاع الاحنف بن قيس التميمى فتح (خراسان) سنة ثمانى عشرة هجرية (٦٣٩م) ، وفى قول اخر سنة اثنتين وعشرين هجرية (٦٤٢م) على عهد عمر بن الخطاب رضى الله عنه .

ولكن (خاقان) ملك الترك ، ومعه يزدجرد آخر ملوك الساسانيين عبر نهر جيحون الى (بلخ) التى كان المسلمون قد فتحوها قريبا ، واستعاد هذه المدينة .

وقاتل المسلمون جيش الترك بقيادة خاقان ، وكان المسلمون بقيادة الاحنف بن قيس ، فانسحب الترك من (بلخ) وعادوا الى ديارهم فيما وراء النهر ، ومعهم يزدجرد .

واستعاد الأحنف (بلخ) وسائر خراسان ، وكتب الى عمر بن الخطاب بالفتح ، فجمع عمر الناس وخطبهم ، وامر بكتاب الفتح فقرىء عليهم ، وقال فى خطبته : « الا ان الله قد اهلك ملك المجوسية وفرق شملهم ، فليسوا يملكون من بلادهم شبرا يضر بمسلم . الا وان الله قد اورثكم ارضهم وديارهم واموالهم وأبناءهم لينظر كيف تعملون ، والله بالغ امره ومنجز وعده ومتبع اخر ذلك اوله ، فقوموا فى امره على رجل يعرف لكم بعهده ويؤتكم وعده ، ولا تتبدلوا ولا تتغيروا فيستبدل الله بكم غيركم ، فانى لااخاف على هذه الامة ان تؤتى الا من قبلكم » .

ولما قتل عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، نقض أهل خراسان وغدروا ، فاستعاد عبد الله بن عامر بن كريز القرشي العبشمي فتح (خراسان) بمعاونة الأحنف بن قيس سنة احدى وثلاثين هجرية (٦٥١م) على عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه .

وانتقضت بعض مناطق (خراسان) في ايام الفتنة الكبرى والاقتتال الداخلي ، وكانت مدينة (بلخ) من المدن الخرسانية التي انتقضت .

وفي سنة أحدي وخمسين هجرية (٦٧١م) أصبح الربيع بن زياد الحارثي على (خراسان) عاملا لزياد بن ابيه على عهد معاوية بن أبي سفيان ، فغزا الربيع

(بلخ) وفتحها صلحا .

ومدينة (بلخ) على الدوام باب بلاد ماوراء النهر الجنوبي ، وكانت باستمرار عرضة لهجمات الترك الذين يعبرون نهر (جيحون) فيغزونها ، فلا عجب ان يقرر المسلمون فتح ماوراء النهر للدفاع عن (خراسان) ، لان الهجوم انجع وسائل الدفاع .

ففي سنة ثلاث وخمسين الهجرية (٦٧٢م) ولي معاوية بن ابي سفيان عبيد الله بن زياد (خراسان) .

وفي سنة اربع وخمسين الهجرية (٦٧٣م) قطع عبيد الله نهر (جيحون) الى جبال (بخارى) على الابل في اربعة وعشرين الفا ، فكان عبيد الله اول من قطع اليهم جبال (بخارى) في جند ، ففتح (راميثن) و (نسف) و (بيكند) وهى مدينة غنية وكانت عاصمة للدولة .

وارسلت (خاتون) ملكة (بخارى) الى الترك تستمدهم ، فامدوها بعدد كبير منهم ، وداهموا المسلمين وهم يحاصرون (بخارى) ، فهزمهم عبيد الله .

وبعثت خاتون تطلب الصلح والامان ، فصالحها عبيد الله على ألف ألف درهم سنويا ، فانسحب المسلمون من حصار (بخارى) قبل فتحها وعادوا ادراجهم الى مدينة (مرو) .

و (خاتون) ملكة (بخارى) هي زوجة الملك (بندون) ملك بخارى الذى توفى عنها وترك من بعده ولدا يدعى (طغشاد) وكان حدثا ، فانفردت بشئون الملك امه (خاتون) ، ويقال : ان حكمها دام خمسين سنة ظهر المسلمون في اثنائها بهذه الديار .

وخاتون ليس اسمها ، بل صيغة من صيغ التوقير للسيدات ذوات المقام الرفيع ، اصلها فارسي ، أو تركي ، ومعنى خاتون : « السيدة الوجيهة » او ما يقارب هذا المعنى .

وقد ذاع صيت هذه السيدة واجلال الناس لها ، وكانت تغادر مقرها كل يوم بعد الشروق ، فتقصد باب السهل (الريكستان) ، فتجلس فوق عرش ، ومن حولها رجال البلاط والاعيان ، وتقيم العدل بين الناس . وكان يقوم على حراستها في الحضرة كل يوم مائتا شاب يتمنطقون بالذهب ، ومعهم سيوفهم الذهبية كذلك ، وكانوا يستبدلون بغيرهم كل يوم ، وعلى هذا الوضع كانت تتيح لكل قبيلة ان تشارك في اداء واجب حراستها اربع مرات كل سنة .

وبهذه السيدة انتهى الحكم الفعلي لأول اسرة حاكمة في بخارى ، وقد احتفظ ابنها « طغشاد » باستقلاله لمدة ثلاثين سنة لاعتناقه الاسلام .

واشتبك طغشاد فى حروب مع الترك الى جانب المسلمين الذين ثبتوا ابنه على العرش من بعده تكريما له ، وكان قد سمى ابنه : قتيبة تيمنا باسم : قتيبة بن مسلم . ولكن ابنه قتيبة هذا لم يخلص للاسلام والمسلمين كما كان ابوه مخلصا ، فكان يتظاهر بالاسلام ويخفي ممارسة طقوس المجوس ، فقتل متهما بالزندقة .

فتح سعيد بن عثمان بن عفان

ولى معاوية بن ابني سفيان سنة ست وخمسين الهجرية (٦٧٥م) خراسان سعيد بن عثمان وعزل عبيد الله بن زياد . وقدم سعيد خراسان ، فقطع النهر الى (سمرقند) ، فكان اول من قطع نهر (بلخ) من العرب . وبلغ (خاتون) ملكة (بخارى) عبوره النهر ، فحملت اليه الصلح الذى صالحت عليه عبيد الله ابن زياد .

واقبل اهل (الصغد) و (كش) و (نسف) الى سعيد في مئة الف وعشرين الفا ، فالتقوا ببخارى ، وقد ندمت خاتون على ادائها الجزية ، ونكثت العهد ، ولكن قسما من الحشود المجتمعه لقتال سعيد انصرفوا قبل مباشرة القتال ، فاثر انصرافهم في حماسة الاخرين واهتزت معنوياتهم ، فلما رأت خاتون ذلك ، اعادت الصلح فدخل سعيد مدينة بخارى فاتحا .

وطلب سعيد من خاتون ان تبعث اليه برهائن ضمانا لتنفيذ ما تصالحا عليه ، فبعثت اليه بثمانين من اعيان بلادها ممن كانوا على رأس الخارجين عليها ، فتخلصت بذلك من اشد اعدائها خطرا على عرشها .

وحين تم الصلح ، زارت خاتون سعيدا في مقره فطلعت عليه في زينتها الملكية ، وكانت نادرة الجمال على ما يقال ، فادعى اهل بخارى ان القائد العربي اعجب بجمالها ، وجرى ذكر اعجاب سعيد بها في الاغاني الشعبية التي لا يزال اهل بخارى يرددونها حتى اليوم .

ولكن هذا الاعجاب لا ذكر له في المصادر التاريخية العربية ، ومن الواضح انه اقرب الى خيال الادباء منه الى حقائق المؤرخين .

وغزا سعيد (سمرقند) فاعانته (خاتون) باهل بخارى ، فصالح اهل سمر قند من غير ان يفتحها ، ثم

انصرف الى (ترمذ) ففتحها صلحا .

فتح سلم بن زياد

عزل معاوية بن ابي سفيان عن (خراسان) سعيد ابن عثمان بن عفان سنة سبع وخمسين الهجرية (٦٧٦م) واضيفت الى عبيد الله بن زياد في رواية ، وفي رواية اخرى ان معاوية ولى عليها عبد الرحمن بن زياد ، فلم يصنع شيئا ، ومات معاوية وعبد الرحمن على خراسان .

وولى يزيد بن معاوية سلم بن زياد (خراسان) ، سنة اثنتين وستين الهجرية (٦٨١م) فغزا خوارزم فصالحوه على اربعمائة الف درهم وحملوها اليه .

وقطع سلم النهر ومعه امرأته ام محمد بنت عبد الله ابن عثمان بن ابي العاص الثقفي ، وكانت اول عربية عبر بها النهر ، فوجد (خاتون) قد نقضت العهد .

واستنجدت خاتون مرة اخرى بجيرانها فى الصغد ، كما استنجدت باتراك الشمال فجاء طرخون على جيش الصغد ، كما جاء ملك الترك فى عسكر لجب كثيف .

ولم تؤثر هذه الحشود الضخمة من الجيوش المعادية فى معنويات المسلمين ، فحاصر المسلمون بخارى دون الهجوم عليها ، ليقفوا أولا على تفاصيل قوات اعدائهم ومواضعها .

وامر سلم المهلب بن ابى صفرة الازدى ان يستطلع احوال العدو ، فاقترح المهلب ان يكلف غيره بهذه المهمة ، لانه معروف المكانة بين المسلمين ، وقد يفشى تغيبه عن معسكر المسلمين سر الواجب الذى كلف به ، وهذا الواجب ينبغى ان يبقى سرا مكتوما .

ولكن سلم بن زياد اصر على ايفاد المهلب لهذا الواجب الحيوى ، وارسل معه ابن عمه ورجلا من كل لواء من الوية جيش المسلمين ، فاشترط المهلب على سلم الا يخبر احدا بمهمته ومضى الى سبيله ليلا ، واستطلع العدو دون ان يشعر جيش العدو بمكانه .

ويبدو ان المسلمين افتقدوا المهلب فى صلاة الفجر ، فاخبرهم سلم انه ارسله ليلة امس للاستطلاع .

وفشا الخبر فى المعسكر ، واسرع جمع بالركوب وذهبوا اثر المهلب فلما ابصرهم المهلب لامهم على ما اقدموا عليه ، حيث كشفوا جماعة استطلاعه للعدو ، واصبح موقفه ومن معه من المسلمين فى خطر محدق .

واحصى المهلب المسلمين الذين التحقوا بمفرزة استطلاعه ، فكانوا تسعمائة ، فقال لهم : « والله لتندمن على ما فعلتم » .

وحدث ما توقعه المهلب ، فما كاد ينظم المسلمين صفوفا ، حتى هاجمهم الترك وأبادوا منهم اربعمائة مجاهد ، ولاذ الباقون منهم بالفرار .

واحيط بالمهلب نفسه ومن بقى من مفرزته الاستطلاعية ذات العدد القليل ولكنه ثبت ثبوتا راسخا كالطود الاشم ، فالموت بالنسبة لامثاله اهون من الفرار .

وصاح المهلب بصوته القوى مستغيثا ، فسمع صوته فى معسكر المسلمين الذى كان على بعد نصف فرسخ من موضعه .

وبادر فورا الى نجدته فريق من قومه ، فشاغلوا الترك ريثما اقبل المسلمون سراعا . ونشب القتال بين الجانبين ، فقاتل المسلمون الترك حتى هزموهم هزيمة منكرة ، فتركوا ساحة القتال مخلفين اموالهم واثقالهم ، فغنمها المسلمون حتى اصاب كل فارس الفين واربعمائة درهم فى رواية ، وعشرة الاف درهم فى رواية ثانية .

وطارد المسلمون الترك المنهزمين . فلم ينج منهم الا الشريد ، وكان من القتلى ملك الترك (نيدون) او (بيدون) .

واعادت (خاتون) الصلح مع سلم بن زياد ، فعاد ادراجه الى (مرو) بعد ان استعاد فتح (بخارى) .

ويبدو أنه قطع النهر فى سنة ثلاثة وستين الهجرية (٦٨٢م) مرة اخرى ، لانه علم بان الصغد قد جمعت له ، فقاتلها .

ومات يزيد بن معاوية سنة اربع وستين الهجرية (٦٨٣م) ، فأخرج المسلمون سلم بن زياد من خراسان ، ونشب الخلاف الشديد بين القبائل العربية من بعده ، فاصبحت سيوفهم عليهم لا على اعدائهم . وتوقف الفتح وانتقضت البلاد .

فتح قتيبة بن مسلم الباهلى

ولى الحجاج بن يوسف الثقفى ـ الذى كان على العراقيين ـ قتيبة بن مسلم الباهلى خراسان بعد يزيد بن المهلب بن ابى صفرة ، وكانت تولية قتيبة سنة ست وثمانين الهجرية (٧٠٥م) فى ايام الوليد بن عبد الملك

ابن مروان .

وعبر قتيبة النهر في سنة توليته بعد ان اطمأن إلى ولاء (بلخ) ، لانها القاعدة المتقدمة لفتح ما وراء النهر ، فاستعاد الطالقان والصغيان وطخارستان ،

وفى سنة سبعة وثمانين الهجرية (٧٠٥م) استعاد « باذغيس » و« بيكند » بعد قتال عنيف ، وفى سنة ثمان وثمانين الهجرية (٧٠٦م) ، استعاد قتيبة فتح « نومشكت » و « وراميثنة » بعد قتال شديد .

وفى سنة تسعة وثمانين الهجرية (٧٠٧م) امر الحجاج قتيبة ان يغزو بخارى وملكها يومئذ (وردان خذاه) ، الذي اغتصب الملك من طغشاد بن خاتون .

وعبر قتيبة النهر من (زم) ، فلقيه الصغد واهل ركش ونسف في طريق المفازة وقاتلوه ، فانتصر عليهم .

ومضى قتيبة الى بخارى ، فنزل (خرقانة) السفلي ، فلقوه ثانية بجمع كثير ، فقاتلهم يومين وليلتين وانتصر عليهم .

وغزا (وردان خذاه) ، فلم يظفر بشيء ، فرجع الى (مرو) .

ومن الواضح ان المقاومة العنيفة التي صادفها قتيبة في طريقه الى بخارى ، كبدت جيشه خسائر كبيرة ، واتعبت رجاله ، فعاد الى مقره في مرو ليستعيد قوته ، ويريح جنده ، ويعوض خسائره ، ويمدجيشه بعناصر جديدة .

ولكن الحجاج امر قتيبة بالتوبة مما كان من انصرافه عن « وردان خذاه » ملك بخارى دون الظفر به ، وحثه على استعادة فتح بخارى في السنة القادمة بعد رحيل الشتاء .

وفي سنة تسعين الهجرية (٧٠٨م) خرج قتيبة من (مرو) متوجها الى بخاري ، فارسل (وردان خذاه) الى الصغد والترك ومن حولهم يستنصرهم فاتوه وقد سبق اليه قتيبة وحصره .

ووردت الامدادات الى ملك بخارى ، فخرج اليها ليقاتل المسلمين مع الذين جاءوه مددا . وتقدم الازد ، فقاتلوا قتالا ضاريا ، ولكن العدو تكاثر عليهم ، فتقهقروا الى الخلف حتى دخلوا عسكر قتيبة وجاوزوه ، فضرب النساء وجوه الخيل ، وبكين ، فكر الجند راجعين . واطبقت مجنبتا المسلمين على الترك ، فقاتلوهم حتى ردوهم الى مواقفهم السابقة ، ورأى قتيبة ان الترك هم القوة الضاربة في العدو ، وقد سيطروا على نشز من الارض ، هو مفتاح مواضع العدو ، فاذا استطاع المسلمون السيطرة على هذا النشز ، استطاعوا ربح المعركة كلها .

ووجه قتيبة بني تميم وعلى رأسهم وكيع بن حسان بن قيس التميمي ، وامرهم بازالة الترك عن النشز واحتلاله . وقدم وكيع الخيل ، وتقدم بالرجالة ، فوصلت الخيل الى نهر بينهم وبين الترك ، فاقتحمته الخيل واقتحمه المشاة على جسر شده وكيع على النهر . ودنا وكيع من العدو ، فامر الخيل ان تشاغلهم وهجم بالمشاة عليهم فقاتلوهم حتى ازاحوهم عن مواضعهم ، وسيطروا على النشز من الارض .

وانهارت مواضع العدو ، فانهزموا لايلوون على شيء ، وجرح يومئذ خاقان ملك الترك وابنه واستعاد قتيبة فتح بخارى ، فكتب بالفتح الى الحجاج .

و (وردان خذاه) هذا وزير اصله من تركستان وكانت له امرة « وردانه » وهي قرية من قرى بخارى ، ، وقد استأثر بملك بخارى بعد وفاة (الخاتون) وبعد اندحاره امام قتيبة هرب الى تركستان ومات هناك ، فاعاد قتيبة الملك الى « طغشاد » على بخارى ، فاسلم طغشاد وبقي ملكا ثلاثين سنة ، وسمى ابنه : قتيبة .

واقتدى بالملك كثير من اهل بخارى فأسلموا .

وقد دعا قتيبة الى اعتناق الاسلام بعد ان استعاد فتح بخارى للمرة الرابعة (فتحها المرة الاولى عبيد الله بن زياد ، وللمرة الثانية سعيد بن عثمان ، وللمرة الثالثة سلم بن زياد) ، فكان اهل بخارى في كل مرة يسلمون ثم يرتدون حين يعود العرب المسلمون الى ديارهم في الشتاء .

وقد مر قتيبة ببخارى اربع مرات حتي سنة اربع وتسعين الهجرية (٧١٢م) في طريقه الى ، الفتح ، فكان في كل مرة يدعو اهل بخارى الى الاسلام ، فيسلم من يسلم منهم صادقا ويتظاهر منهم من يتظاهر بالاسلام منافقا ، فرأى قتيبة من الصواب ان يأمر اهل بخارى بان يعطوا نصف بيوتهم للعرب ليقيموا بها معهم ، ويطلعوا على احوالهم ، فيظلوا مسلمين بالقدوة الحسنة والمعايشة الحقة للمسلمين ، فأظهر الاسلام بهذه الطريقة والزمهم باحكام الشريعة وبنى المساجد ، وأزال اثار الكفر والمجوسية ، وبنى المسجد الجامع سنة اربع وتسعين الهجرية (٧١٢م) وامر اهل بخاري ان يجتمعوا هناك يوم الجمعة من كل اسبوع للصلاة ، وكان يعطي

الفقراء المصلين من اهل بخارى درهمين لكل واحد منهم تشجيعا لهم على الصلاة ، وكانت القوة الشرائية للدرهمين حينذاك كبيرة جدا فقد كان الخروف السمين بنصف درهم .

عبرة الفتح

كثيرا ما نقرأ في كتب المستشرقين ان اسباب انتصار الفاتحين هو : « عدم وجود جيش منظم قوى يستطيع صد الفتح الاسلامى ويحمي البلاد المفتوحة ولان الحرب الساسانية البيزنطية قد استنزفت قوى الدولتين وان مصاولة الفاتحين اقتصرت على السكان المحليين بطاقاتهم المحدوده كما يردد قسم من المستشرقين المغرضين واعداء العرب والمسلمين من المؤرخين الاجانب .

ومن المؤسف حقا ، ان قسما من المؤرخين العرب والمسلمين نقلو مزاعم هؤلاء الاعداء المغرضين نقلا الى المدارس والمعاهد والجامعات العربية والاسلامية ، وسمموا بها افكار التلاميذ العرب والمسلمين والطلاب بمزاعم باطلة لايقرها المنطق ولا يصدقها العقل وهي تناقض وقائع التاريخ .

وبمجرد قراءة : (فتح بخارى) نجد مثالا واحدا على معاناة المسلمين في الفتح واستعادة الفتح لمدينة واحدة فقط ، فقد لاقي المسلمون مقاومة عنيفة جدا ، ولم يحققوا النصر الا بالتضحيات الجسام .

لقد قاومت البلاد بضراوة وعنف شديدين ، ولعل من اسباب تلك المقاومة : مناعة البلاد الطبيعية والاصطناعية ، وتفوق المقاومين من اهل البلاد على الفاتحين عددا وعددا ، والدفاع عن النفس والعقيدة والتقاليد ، ودفاع الحكام عن سلطانهم .

كما ان طول خطوط مواصلات المسلمين ، وتغلغلهم بعيدا عن قواعدهم الرئيسة والامامية والمتقدمة ، ساعد اعداءهم على مقاومتهم بشدة وعنف .

لقد كانت كل العوامل العسكرية الى جانب اعداء المسلمين ، ولكن المسلمين كانوا متفوقين على اعدائهم بالعقيدة ، فكانت انتصاراتهم انتصار عقيدة بلامراء .

وفي الوقت الذي كان فتح الاسكندر والفرس والروم والاستعمار الحديث فيه سحابة صيف ، لانه كان فتح قوة وبطش ، بقي الفتح الاسلامي فتحا دائما ، سيبقي واضح المعالم بارز الاثر مابقي التاريخ ، لانه فتح مبادىء لافتح سيوف ، والمبادىء تبقي وغيرها يزول .

ان الفتح الاسلامي واستعادة الفتح لم يكن نزهة للترفيه كما يصوره المغرضون والحاقدون ، بل كان فتح عقيدة ذاد عنها حماة قادرون .

تلك هي العبرة الاولى ، تفضح ادعاءات اعداء العرب والمسلمين الذين يصورون ان الفتح كان لضعف الامم المفتوحة ، لغرض التهوين والتقليل من شأن الفتح الاسلامي العظيم .

والعبرة الثانية ان المسلمين لايكرهون غيرهم على الاسلام ، فقد بقيت (الخاتون) على دينها خمسين سنة ، ومن البديهي ان المسلمين كانوا يستطيعون اكراهها على اعتناق الاسلام ولكنهم لم يفعلوا .

وقد اعتنق ابنها الاسلام وقاتل مع المسلمين ، ولم يذكر انه اجبر على اعتناق الدين الجديد .

وكان بامكان المسلمين الفاتحين اكراه الناس المغلوبين على اعتناق الاسلام ، ولكنهم لم يفعلوا ، واكبر دليل على ذلك ، هو بقاء كثير من الاديان الغابرة حتى اليوم بين صفوف المسلمين الفاتحين .

لقد استطاع الاسبان اجبار المسلمين على التنصر بالضغط والشدة ومحاكم التفتيش بعد سيطرتهم على الاندلس . ولو كان المسلمون يكرهون احدا على الاسلام ، لما بقي في الاندلس الاسبان النصارى الذين استعادوها من المسلمين .

والعبرة الثالثة ، ان الفتح واستعادة الفتح يقوي ويشتد حين تشمل المسلمين الوحدة ، يقاتلون تحت قيادة موحدة ، لتحقيق هدف واحد ، هو اعلاء كلمة الله ونشر المثل العليا بين الناس .

وان البلاد المفتوحة تنتقض وتضطرب ، حين يختلف المسلمون فيقتتلون تحت قيادات شتى لتحقيق اهداف غير موحدة .

ان سيوفهم بالوحدة تكون لهم على اعدائهم .

وسيوفهم بالفرقة تكون عليهم لا على اعدائهم .

تلك هو مجمل عبرة فتح بخارى واستعادة فتحها ، ما احرانا ان نستوعبها استيعابا عمليا لا نظريا ، ونأخذ منها الدروس لحاضرنا ومستقبلنا عربا ومسلمين . ■■

بغداد ـ محمود شيت خطاب